﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾:

﴿وَلَهُۥ﴾ مِلكاً ومُلكاً وبأصل الكون والكيان وفرعه، بوصله وفصله ﴿مَا سَكَنَ. . .﴾ وتقدم الظرف هنا وفي «لمن» هناك دليل الحصر، أنه كما أنه لا إله إلّا هو، كذلك لا مالك ولا ملك للكائنات إلّا هو.

وترى ما هو السكون هنا؟ ولا سكون طليقاً لأي كائن! حيث الكون بأسره في حراك دائب دونما وقفة، اللهم إلّا وقفات نسبية! فإن الحركة هي لزام الكائنات الحادثة.

وإذا كان ﴿سَكَنَ﴾ تقابل الحركة المحسوسة، فله المتحركات في الليل والنهار كما السواكن فلماذا الاختصاص هنا بـ﴿مَا سَكَنَ﴾ ومصبُّ الحجاج هو الكون بأسره ولا سيما المتحركات قضية حاجتها إلى محرك؟!.

﴿مَا سَكَنَ﴾ لا تقابل «ما تحرك» إنّما هو من السِّكَن، لا السكون مقابل الحركة أي: له ما تمكن في الليل والنهار، كما ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[1] حيث لا تعني مقابل تحرّكهم، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[2] مهما عنيت من السكن هنا إضافة إلى السكونة السكينة والراحة.

أو يقال ﴿سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعني السكينة والراحة مع السكونة، إنه

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٨٠.

هو الذي أسكنهم وطمأنهم، فكما لا سَكَن في الليل والنهار إلّا من الله، كذلك لا سكينة وراحة فيهما لهم إلّا من الله.

فـ ﴿سَكَنَ﴾ على أية حال تعني سكن المكان والزمان الشامل لأيٍّ كان، كما الليل والنهار لهما مكان الآفاق، العارضان هما عليها، ولكن القصد هنا إلى ساكني الكون في كلِّ زمان ومكان، وهو تعالى ليس له زمان ولا مكان.

ثم ولا يخرج أي كائن من ساكن في الليل والنهار، أم في ليل أو نهار، حيث المكان بين سكَن الليل وسكن النهار، اللهم إلَّا العدم المطلق الذي ليس ليلاً ولا نهاراً، فلا هو في ليل ولا في نهار سلباً لسلب الموضوع.

ثم الله الذي ليس ماكناً ولا مكاناً وهو خارج وبائن عن ظلم الليل وضوء النهار خروجاً عن موضوع الزمان والمكان والليل والنهار، فإنهما من لزامات الكائنة الحادثة المادية، والمجرد الطليق عن كلِّ شؤونات المادة لا هو ماكن فيها ولا هو مكان لها.

فـ ﴿مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ عبارة أخرى عن الكون المخلوق بأسره كما السماوات والأرض وما بينهما.

فكما الظرف مكانياً يشمل كلَّ الكائنات مستقصياً أي كائن كان، كذلك هو زمانياً حذو النعل بالنعل، ثم الخالق للكون لا مكان له ولا زمان لأنه الخالق لهما وما فيهما، فكما له ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مكاناً، كذلك ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ زماناً، ولا كائن مخلوقاً دون مكان أو زمان أياً كان وأيان.

وترى إذا كان ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[1] و﴿مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ فلمن - إذاً - ظرف المكان وظرف الزمان؟.

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٦.

كما أن ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تعني الكائن والمكان، كذلك ﴿مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعني الساكن والزمان، وكما تصرح بذلك آيات خلق المكان وخلق الزمان فـ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من مثلث الساكن الماكن والزمان والمكان.

ذلك! وكما أن هناك ملازمة بين خلق الزمان والمكان والساكن والماكن، فالخالق للماكن ليس ليخلق إلّا في مكان خَلَقه من ذي قبل أو معه، كما الخالق لساكن الليل والنهار ليس ليخلقه إلَّا بعد خلق الليل والنهار أو معهما، مهما كان خلق الزمان والمكان والساكن والمكان هو كلّه في أوّل ما خلق الله جملة، ثم الله خلقها تفصيلاً.

ثم وكما أن لكتاب التشريع محكماً ومفصلاً تلوَ بعض، كذلك كتاب التكوين، والكاتب واحد لا شريك له سبحانه وتعالى عمَّا يشركون.

ثم ونفس السكون في الليل والنهار دليل حدوث الساكن كما المسكن، كما ونفس التمكن في المكان دليل حدوث الماكن كما المكان، وذاتية الحدوث للزمان لمكان التصرم الدائم، دليل - وبأحرى - على ذاتية الحدوث لساكن الزمان والمكان.

ذلك ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للأصوات كلها ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالكائنات والكيانات والحالات والصفات والحاجات كلِّها، لا تخفى عليه خافية، وقد كتب على نفسه الرحمة، وله العلم المحيط والقدرة الواسعة، إذاً فـ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1].

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾:

(١) سورة النساء، الآية: ٨٧.

فحين ثبت بالبرهان أن هناك فاطراً للسماوات والأرض هو الله فـ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ - ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١) ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾(٢).

ثم وهو الغني ذو الرحمة: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ روحياً ومادياً ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾(٣) في أيٍّ من حقول الطعام، وكلّ ما في الكون مُطعمَ مهما يُطعِم، وأين إطعام من إطعام، حيث المطعِم من الخلق هو مطعَم في أصله وفرعه، في وصله وفصله، وهو مطعِم بما يُطعم ومن حيث يُطعم.

﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الذين يتخذون من دون الله ولياً، و﴿قُلْ﴾ لكلِّ من يشعر ويعقل ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أولية في درجة الإسلام لا في الزمان والمكان، حيث سبقه مسلمون كثير على مدار الزمن.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كما أنت أوّل المسلمين لله، فلتكن أوّل المعارضين للإشراك بالله، فأنت الأوّل الطليق في كلا السلبية والإيجابية لكلمة الإخلاص: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٤).

ذلك، وكما كان محمد ﷺ أوّل المسلمين، كذلك - ولزاماً له -

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠١.
(٣) الدر المنثور ٣: ٧ بسند عن أبي هريرة قال دعا رجل من الأنصار النبي ﷺ فانطلقنا معه فلما طعم النبي ﷺ وغسل يده قال: «الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ومنّ علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكلّ بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام وشفانا من الشراب وكسانا من العرى وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً الحمد لله رب العالمين».
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٣.

كان أوّل العابدين: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[١] وأول العارفين منذ بداية الخلق إلى يوم الدين، أوّلية في هذه الزوايا الثلاث لا تُساوى ولا تُسامى!.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾:

لست أنا - لأنني رسول - في أمن من العذاب ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ فإن ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو لزام العصيان من أيٍّ كان، بل والعذاب للأقرب إلى الله - لو عصى - أقرب وأعظم، كما هو للأغرب أغرب، بل وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

ولقد كان الرسول ﷺ يُكرِّر مقالته هذه في مختلف المجالات، قبل الفتح وبعده، وقد يكون بعده أحرى لاحتمالة النزوة الطارئة نتيجة الفتح المبين، فلا دور خاصاً لهذه المقالة ولا نسخ له أبداً خلاف الرواية المختلقة[٢].

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾:

أترى صرف عذاب يوم عظيم عن الصالحين - ولا سيما السابقين والمقربين - هو رحمة من العظيم أم هو عدلٌ جزاءً وفاقاً؟.

إن صرف العذاب عن الصالحين الذين لا ذنب لهم ولا سيما

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨١.

(٢) نور الثقلين ١: ٧٠٥ في تفسير العياشي عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما ترك رسول الله ﷺ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ [الأنعام: ١٥] حتى نزلت سورة الفتح فلم يعد إلى ذلك الكلام أقول: علّة عناية إلى ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ولكن الذنب هنا غير العصيان هنا، إنما هو رسالته ببلاغها وبلوغها حيث الذنب هو كلّ ما يستوخم عقباه، وكانت عقبى هذه الرسالة السامية مستوخمة من قبل المشركين المحتلين عاصمة التوحيد، فصدّ الله عنه ﷺ مستوخمة العقبى ما دام حياً بفتح تلك العاصمة - راجع تفصيل الكلام في تفسير سورة الفتح -.

المعصومين هو قضية العدل مهما كانت الجنة قضية الرحمة التي كتب الله على نفسه، وهذه ضرورة عقلية وقرآنية أن استحقاق العذاب خاص بأهله الطالحين، إذاً فـ ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ تتخصص بهؤلاء الأكارم الذين لا ذنب لهم، وتخص بمن له ذنب أياً كان، تاب عنه أم لم يتب، شفع له فيه أم لم يشفع، حيث التوبة من الله ومغفرته والشفاعة المقبولة لديه وتكفير السئات بترك الكبائر وما أشبه، كلّ ذلك قضيةُ رحمته، فمن يُصرف عنه العذاب فقد رحمه بواجب رحمته التي فرضها على نفسه أم راجحها، أم والتي ليست خلاف العدل.

وإذا كان صَرف العذاب عن هؤلاء رحمة فالجنة لهم رحمة فوق رحمة، إذ لا يستحق أحد على الله الجنة جزاءً أصلياً، اللّهم إلّا بما وعد برحمته، حتى «ولا أنت يا رسول الله ﷺ»[1] ولكن الله يتغمده ومن معه برحمته التي كتبها على نفسه.

ذلك، وأما صرف العذاب عنه ﷺ فيما صرف عن نفسه العصيان وكما خص خوفه عنه به: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] - ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ

(١) مجمع البيان عن الحسن في تفسيره أن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ؟ قال: ولا أنا إلّا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطول بها صوته.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

هذه الآيات ترسم صورة وضاءة عن توحيده تعالى في أفعاله، فلا شريك له في كشف الضر ومسِّه، ولا في مس الخير ومَسْكه، فأنى تؤفكون - إذاً - أإفكاً آلهة دون الله تريدون؟ فهنا قضية واحدة لا تنقسم ولا تقبل تميُّعاً ولا أنصاف حلول، إما إفراد الله في كافة اختصاصات الربوبية، قضيّة الفطرة والعقلية والفكرة والعملية في شعيرته وشريعته، فهو ذاك الإسلام، وإما الإشراك بالله في أيٍّ من شؤون الربوبية تخلفاً عن الآيات الأنفسية والآفاقية، فالجمع بينه ومن سواه إشراك به كيفما كان مهما كان دركات كما التوحيد درجات.

ولقد أُمر الرسول ﷺ - على محتدة القمة الرسالية - أن يصارح بذلك الاستنكار هؤلاء المشركين الداعين له إلى الملاينة والمداهنة، وجعْل البلد شطرين وأخذ العصا من وسطها، ليجعل لآلهتهم مكاناً في شرعته لكي يدخلوا في دينه، والجواب كلمة واحدة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢] فلا يقبل دين التوحيد أي تليين ومصالحه وأنصاف حلول، فإنه صُراح التوحيد الحق وحق التوحيد، ورفض كلِّ شرك عن ساحته وسماحته.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾:

تلك الفوقية القاهرية الربانية هي فوقية المحتد والمكانة في العلم والقدرة والتقدير والتدبير وفي كلِّ ما تتطلبه الربوبية الوحيدة غير الوهيدة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في قاهريته الفائقة ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بكلِّ سُؤل وسؤال لعباده، قاهر

(١) سورة فاطر، الآية: ٢.
(٢) سورة الكافرون، الآية: ٦.

فوقهم عدلاً وفضلاً، إذاً فـ«ليس القاهر على معنى علاج ونَصَب واحتيال ومداراة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً، فالمقهور منهم قد يعود قاهراً والقاهر قد يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على أن جميع ما خلق ملتبس به الذل لفاعلة وقلة الامتناع لما أراد به، لم يخرج منه طرفة عين، غير أنه يقول له: كن فيكون، والقاهر منّا على ما ذكرت ووصفت فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»[(١)].

وليس القهر هنا هو الجبر، فـ«لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» إنما هو غلبة الإرادة الربانية على كلِّ إرادة ومريد ومراد، حتى في الأمور الاختيارية ما لا ينافي الاختيار، فلا يستطيع المختار من تحقيق ما يختار إلَّا - بالمآل - بإرادته تعالى وتقدس دونما تسيير على خيرٍ أو شرٍّ إلّا فيما يصح ويصلح فيه التسيير.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾:

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ﴾ على صادق الوحي إليك؟ طبعاً هو الله لأنه الأكبر على الإطلاق، وإن شهادة الوحي راجعة إليه، فلا شاهد أكبر وأحقُّ شهادة له منه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾[(٢)] ولأن الجواب هنا بيِّن للمشركين حيث يعتقدون في ألوهيته وربوبيته الكبرى، لذلك طوي عن ذكره بقولهم وقوله، أم إن ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ جواب وهو مع الوصف مبتدأ خبره «شهيد...»[(٣)].

(١) نور الثقلين ١: ٧٠٦ في كتاب التوحيد عن الرضا عليه السلام حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: «وأما القاهر فإنه ليس على معنى»....

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٣) نور الثقلين ١: ٧٠٦ عن التوحيد بإسناده إلى محمد بن عيسى بن عبيد قال قال لي أبو =

﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ وبماذا يشهد؟ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(١) (٢).

فالقرآن بنفسه شهيد وبينة من ربه وكما هو بنفسه بينة ويتلوه شاهد منه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

وهنا ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ تجعل القرآن المحور الأصيل للشهادة الإلهية على وحيه ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ عن عذاب الله في يوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾: من بلغ مبلغي منذراً كالأئمة المعصومين(٤)، ومن بلغ مبلغ

= الحسن عليه السلام أما تقول إذا قيل لك أخبرني عن الله أشيء هو أم لا شيء؟ قال: فقلت له: قد أثبت الله نفسه شيئاً يقول: قل أي شيء أكبر شهادة قل الله..

فأقول: إنه شيء لا كالأشياء إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه، قال لي عليه السلام: صدقت وأصبت.

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٢) الدر المنثور ٣: ٧ عن ابن عباس قال جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمرو فقالوا: يا محمد ما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو فأنزل الله في قولهم ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً..﴾ [الأنعام: ١٩].

وفي نور الثقلين ١: ٧٠٦ في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في الآية وذلك أن مشركي أهل مكة قالوا: يا محمد ما وجد الله رسولاً يرسله غيرك؟ ما نرى أحداً يصدقك بالذي تقول، وذلك في أوّل ما دعاهم وهو يومئذ بمكة، قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك ذكر عندهم فأتنا من يشهد أنك رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..﴾ [الأنعام: ١٩].

(٣) سورة هود، الآية: ١٧.

(٤) نور الثقلين ١: ٧٠٧ في أصول الكافي بسند متصل عن مالك الجهني قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله عز وجل: الآية، قال: من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد عليهم السلام فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله، ورواه مثله العياشي عن الصادقين عليهما السلام، وفي تفسير=

الإنذار بعدي وبعدهم من العلماء الربانيين[١]، فلا بدَّ - إذاً - للمنذر بالقرآن من بلوغ هو بلوغ العقلية القرآنية تلقياً وتطبيقاً وإلقاءً، وذلك مثلث لهندسة الإبلاغ والإنذار بالقرآن، عطفاً لـ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ بفاعل ﴿لِأُنذِرَكُم﴾.

ثم ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ من المنذَرين، بلغ عقلياً إذ لا تكليف للصغار والمجانين، ومن بلغه منهم طول الزمان وعرض المكان منذ بزوغه إلى يوم الدين، ومن بلغ به[٢] عطفاً له بمفعوله «كم».

إذاً - ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ دون تقيد أدبي بالمنذِر والمنذَر، أو كونه لازماً أو متعدياً، إنّه تعبير قاصد إلى مسدَّس المعاني: لأنذركم به وينذركم من بلغ في مثلثه، ومن بلغ في نفسه منذراً، وبلغه هذا الوحي، وذلك من ميزات

= البرهان ١: ٥٢٠ عن تفسير العياشي عن أبي خالد الكابلي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ...﴾ [الأنعام: ١٩] حقيقة أي شيء عنى بقوله: ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] قال: فقال من بلغ أن يكون إماماً من ذرية الأوصياء فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنه عليه السلام قال: علي عليه السلام ممن بلغ.

(١) تفسير البرهان ١: ٥١٩ - العياشي عن زرارة وحمران عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في الآية «يعني من بعده وهم ينذرون به الناس».

(٢) الدر المنثور ٣: ٧ عن ابن عباس وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ يعني من بلغه هذا القرآن فهو له نذير، وفيه أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن أنس قال: لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كسرى وقيصر والنجاشي وكلّ جبار يدعوهم إلى الله عزوجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه، وفيه أخرج أبو الشيخ عن أُبي بن كعب قال أتي رسول الله صلى الله عليه وآله بأسارى فقال لهم: هل دعيتم إلى الإسلام؟ قالوا: لا فخلى سبيلهم ثم قرأ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] ثم قال: «خلوا سبيلهم حتى يأتوا مأمنهم من أجل أنهم لم يدعوا» وفيه أخرج ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من بلغه القرآن فكأنما شافهته به ثم قرأ هذه الآية» وفيه عن قتادة في الآية أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله.
وفي نور الثقلين ١: ٧٠٧ في كتاب علل الشرايع بسند متصل عن أبي عبد الله عليه السلام سُئل عن قول الله عزوجل: ﴿وَأُوحِيَ...وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] قال: «لكل إنسان».
أقول: وفي نسخة أخرى «بكلّ لسان» رواه هكذا في تفسير البرهان ١: ٥٢٠.